اصلاح

التربية النسائية

(لحضرة الكاتب الاديب يوسف افندي غنيمة البغدادي)

ما فتىء مركز المرأة يتغير ويتقلب على توالي الايام والقرون تارة يرافقه نجم السعود فيحف به الاكرام والتبجيل وطوراً تغشاه غيوم الذل وعواصف الشقاوة فتهوي به الى حضيض الذل والمهانة ومرة تعتبر المرأة عضواً عاملاً اديباً واخرى شيئاً حقيراً دنيئاً

وما برح الامر على هذه الحالة الى ان تألقت انوار الديانة المسيحية واشرقت شمس آدابها على العالم المتسكع وقتئذٍ في ظلمة الوثنية فنسخت من مصحف الموجودات العادات القديمة المستهجنة ولطفت الاخلاق الهمجية الذميمة . فاصبحت المرأة متسربلة ثياب المجد والعز ومتمنطقة بالآداب والتربية آخذة بالصعود في مراقي الكمال ومعارج الفلاح . فبلغت درجة عالية من رفيع المنزلة في القرن المنصرم الذي خلف له في القلوب ذكراً لا يمحى . ومع ذلك لم تبلغ بعد اوج عظمتها وقمة كمالها لان من تأمل تربيتها بعين بصيرة وانتقدها انتقاد الحكيم المنصف يجدها لا تخلو من بعض النقائص والشوائب الجوهرية على ما تحققته بعد الاختبارات الطويلة والملاحظات المليّة

وها اني اليوم انادي على رؤوس الاشهاد ببعض افكار خطرت لي

بشأن التربية النسائية وكيفية اصلاحها ولا ادعي الاصابة فيما اقول ولكنها سوانح افكار ابسطها في ميدان الصحافة ليسبرها ارباب الامور وليزنها الاساتذة بميزان العقل فان استصوبوها لم يبق منها الا ابرازها من حيز القوة الى الفعل وان كان الامر على خلاف ذلك فلا بد من انها تنبه الافكار الى مباحث جليلة هي بمنزلة رفيعة من الاهمية

وقبل ان اخوض هذا المبحث عليَّ ان أبين بوجه الاختصار ما المرأة وما حقيقة مركزها في الهيئة الاجتماعية وما هي واجباتها فتلك اسئلة اختلفت في جوابها الشعوب والامم واضحى الحكم في واحد منها من الامور الصعبة

اما انا فلا اجيب عنها كما يعتقد الهنود في مقام المرأة فانهم يحطون قدرها ويضغطون حريتها وينظرون اليها بعين الحقارة والدناءة حتى ان الرجل منهم لا ينادي امرأته باسمها قط بل يطلق عليها اسم الجارية والامة والعبدة خلافا لما تطلبه منهم شريعتهم الوثنية من الوقار السامي والاحترام الفائق نحو قرينها وشريك حياتها فلا يجوز لها ان تستدعيه باسمه قط بل يجب عليها ان تنعته بالالقاب الشريفة الاتية . رب و سيد واله . ويقولون ان المرأة ليست قادرة على احراز شيء من العلوم وليست اهلاً للاعمال الخطيرة

ويزيدون على ذلك ويقولون انه عار على نسائهم المخدرات ان يتعلمن القراءة والكتابة فلا يسمح بذلك الا لاولئك اللواتي قد جعلن مهنتهن الرقص في المحلات العمومية فاني انبذ الرأي الهندي كما انبذ رأي بعض العلماء المحدثين المبرزين في حلبة العلوم الاجتماعية الذين يجلون قدرها بافراط ويغالون في اكرامها ويبالغون في اطرائها حتى انهم يرفعونها الى اعلى منزلة من الرجل

ولا يخفى على القارئ اللبيب ما في الحالتين من المبالغة وانقلاب الناموس الطبيعي

اما الحقيقة التي اسلم بها فهي ان المرأة كائن ادبيّ حرٌّ لا ينقصها من القوى العقلية شيء الا انها فيها بمنزلة اضعف مما عند الرجل وذلك من وجه التغليب وهذا الفرق بينها وبين الرجل لا يخلّ برفع منزلتها لان لها في الهيئة الاجتماعية مقاماً مهماً والقاباً شريفة وواجبات سامية فهي عضد الرجل لا بل مربيته ولهذا قد قيل اذا اراد الله ان يقيم رجلاً عظيماً اقام له اولاً امرأة عظيمة ولله در من قال ان التي تهز المهد بيمينها تهز الارض بيسارها . وهي ربة المنزل ومديرته والمرأة التي تقوم باعباء واجباتها هذه يحق ان يقال فيها انها خيرٌ من اللآلئ الكثيرة . وهذه هي اعظم واجبات المرأة ولكن لسوء الطالع قلما يرى من يلتفت اليها ويقدرها حقها

فالبنات يغادرن المدارس بعد بلوغهن الشبيبة وهن في جهل تام بما يخص تربية الاولاد وادارة المنزل وهما الامران المهمان لمستقبل الاوطان وعمران البلاد فهي من العلوم الواجب الانكباب على درسها والانتباه اليها ولو خصصت النساء اعظم جزء من حياتهن فهن بعيدات عن اتقانها لا لقلة ذكائهن او قصر عقولهن حاشا ثم حاشا بل لكثرة فروعها وغزارة مادتها

وما قولنا في بنات عصرنا المتمدنات اللواتي يقضين ربيع عمرهن بجانب معلماتهن المهتمات بتثقيف عقولهن وتزيينها بالعلوم الجغرافية والطبيعية والتاريخية والكيماوية بدون ان يكترثن بتدريبهن على تربية الاولاد وادارة المنزل ويتغاضين عن تلقينهن واجباتهن حين يصرن زوجات . نعم ان العلوم التي تعلمها الان المدارس النسائية مستحبة معرفتها اذ هي تهيئ العقول الحديثة

النشأة لقبول معارف اوسع ولاقتناء معلومات افضل ولكنها ليست كافية اذ لا تفعل في عقولهن شيئاً سوى انها تهيئها لاقتباس علم تربية الاولاد وادارة المنزل وكيفية السلوك مع ازواجهن

وان قال قائل ان هذه العلوم والمعارف تتعلمها النساء في مدرسة الحياة اجبته متي يكون هذا ؟ وكيفما ؟ ابعد ان يصرن امهات وربات منازل وتلقى تبعة ادارتها على عواتقهن او عقيب ان تدركهن الشيخوخة ويصبحن عاجزات نعم ان التجربة تعلمهن ما يجهلنه ولكن ببطء ممل بحيث تمضي الادوار التي فيها يقدرن ان يفدن الاوطان فضلاً عن ان جميع النساء ليس لهن الاستعداد الكافي والفكرة الوقادة ليتأسين ويأخذن عبرة مما يجري حواليهن ان لم تدفعهن الى ذلك قوة غريبة (اي خارجة عنهن) وتنبه عقولهن للاستفادة منها

وعليه فافضل الوسائط الفعالة التي ترقي الجنس اللطيف في معرفة تربية الاولاد وادارة المنزل هي على ما ارى ان تدخل هذه العلوم حلقة الدروس النسائية وتخصص لها ربات المدارس على الاقل ساعتين في الاسبوع يلقن بها البنات المبتدئات الحديثات بعض مبادئ من العلوم الموماً اليها كما يتعلم الشبان الراغبون اتقان فن الزراعة في المدارس الابتدائية بعض نتف من التاريخ الطبيعي ثم تقام مدرسة على حدة تخصص لتعليم تربية الاولاد وادارة المنزل فمتى ما انتهت الصبيات من الدروس الاولية ونلن شهادتهن يدخلن حينئذ تلك المدرسة المقامة لادارة المنزل وتربية الاطفال

ومن شروط هذه المدرسة ان تحتوي على بعض اطفال مختلفي السن توكل تربيتهم الادبية والصحية الى التلميذات وتقسم اوقاتها الى قسمين اصليين في القسم الاول تتعلم الشابات العلوم المار ذكرها نظريا وفي القسم الثاني يطابقن

بين النظري والعملي فيحملن الاطفال على سواعدهن ويدبرنهم كأم حقيقية وبالاختصار يستعملن كلما يحتاج لتربية الاطفال من الاعتناء الادبي والصحي وكلما يقتضى لادارة المنزل كما نرى التلامذة في المدارس الزراعية فانهم يخرجون الى الحقول بعد ان يتلقوا الدروس في المكاتب وحينئذ يوفقون بين النظري والعملي وارى علماء عصرنا قد انتبهوا لوجوب تعليم فن تربية الكائنات النباتية وتغاضوا عن امر تربية الكائنات الادبية العاقلة

ومن شروط المدرسة النسائية المستقبلة ان ينشأ فيها مطبخ تتولى شؤونه التلميذات تحت قيادة معلمتهن الطابخة . فاذا تم جميع ما ذكرت من الاصلاحات في التربية النسائية حينئذ يحق للقرن العشرين ان يرفع عقيرته باناشيد التهليل والابتهاج لما ناله من الامهات الصالحات والمربيات الفاضلات والزوجات اللواتي قد اتقن معرفة الواجبات

ما قيل عن المرأة

٢

المرأة تضحك حينما تقدر وتبكي حينما تريد

لا يكون سرور حيث لا يكون نساء

الحياة اقصر من ان تكفي المرأة لابداء كل حيلها

الصداقة بين امرأتين مدرجة لعدائهما